((The Orientalists suspicions about the language of the Quranic text))

((شبهات المستشرقين حول لغة النص القرآني))

أ.م. د عادل عباس هويدي النصراوي م. د محمد هادي محمد البعّاج
جامعة الكوفة / كلية التربيّة الأساسيّة

ملخص :

تتمحور فكرة البحث حول أربع شبهات عرضها قسم من المستشرقين وحاولوا أن يطعنوا من خلالها بلغة النص القرآني ، إذ وصموا لغة القرآن الكريم بأنّها تحتوي على ألفاظ غير عربية ، وأنّ أصل دلالتها مأخوذة من لغات أخرى ، وأنّ أسلوب القرآن اللغوي هو الأسلوب نفسه الذي هيمن على أسلوب الكهان القدماء آنذاك ، وأنّ ألفاظه كانت غير معربة في أول نزوله ثم أعربها العلماء ، وقد ردّ الباحثان على هذه الشبهات ردودا علمية أثبتا بوساطتها زيف ما ادعوه وبطلانه .

Summary

The Main idea of the research is centred about four doubts that have been displayed a group of Orientalists which through they tried to impeach the language of Holey Qurans texts . They claimed that the Holy Qurans language contains foreign terms (not Arabic) or that the origin of its connotation was taken from other languages or that the linguistic style of Holey Quran is the same as the style that dominated the style of the old priests at that time. or that its words (terms)were not Arabicized when it was first reveaied then they were Arabicized.The two researchers rejected these doubts and proved scientifically that all these doubts were unreal and fake.

مقدمة

الحمد للهِ ربِّ العالمين،وصلى اللهُ على سيدنا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)وآله الطاهرين(عليهم السلام)،وصحبه الميامين .

أمّا بعد ، فقد حاول كثير من المستشرقين أن يقدموا القرآن الكريم للقارئ الغربي بالترجمة الطافحة بضَعف المضمون وسطحية الفكر وسذاجته ، وكان أغلبهم قاصدين ذلك ، بغية إقناع الغربي الذي أوهموه بمحاربة كلّ ما يَمُتُّ الى الدين بصلة ، وطعناً بالمقدس الديني ، فأهملوا ما حقّهُ الإظهار والدراسة ، ناسين أو متناسين أنّ في القرآن من أدوات الحماية والدفاع عن المضمون ما لا تستوعبه أفكارهم وقيمهم المعرفية المبنية على محاربة المقدس الديني ، فهنا قد اصطدموا بصخرة القرآن الكريم الذي عجز عن مجاراته أرباب اللغة والبلاغة أبان نزوله على صدر الرسول محمد " صلى الله عليه وآله " ، فكيف بهم وهم الجهلاء بلغة القرآن وطريقة نظمه وإعجازه .

ولعلّ أهم أمرٍ حاولوا من خلاله الطعن بالقرآن هو اللغة ، إذ وصموا لغة القرآن الكريم بأنّها تحتوي على ألفاظ غير عربية ، أو أنّ أصل دلالتها مأخوذة من تلك اللغات ، أو أنّ أسلوب القرآن اللغوي هو الأسلوب الذي هيمن على أسلوب الكهان القدماء آنذاك ، أو أنّ ألفاظ القرآن كانت غير معربة في بادئ الأمر .

هذه الأسباب دعت الباحثينِ إلى كتابة هذا البحث ووسمه بـ (شبهات المستشرقين حول لغة النص القرآني) . وقد اقتضى البحث بحسب طبيعة الشبهات المثارة من قبل المستشرقين أن يبدأ بمدخل ويعقبه ما يأتي :

أولا/ شبهة المستشرقين المتعلقة بمحاكاة أسلوب القرآن لأسلوب سجع الكهان: أورد الباحثان طائفة من أقوال المستشرقين حول أسلوب نظم القرآن الكريم وتأثره بسجع الكهان ، وقد ساقا مجموعة من الحجج والأدلة التي تثبت فساد ما ادّعاه المستشرقون

ثانياً/ الشبهة المتعلقة بالمعاني القرآنية : تعرض البحث في هذا الموطن لما أثاره قسم من المستشرقين من أن اللغة العربية بصورة عامة ومنها لغة القرآن الكريم غير قادرة على استقدام المعاني الجديدة التي تتوافق مع حركة المجتمع ، لذا لجأت إلى الاقتراض من اللغات الأخرى .

ثالثا/الشبهة المتعلقة بأصول ألفاظ القرآن الكريم : عرض الباحثان في هذه الفقرة أقوال طائفة من المستشرقين حول أعجمية بعض ألفاظ القرآن أو أنّها دخيلة من لغات أخرى ، وذلك حينما وجدوا قلة استعمال بعضها وندرة ورود بعضها الآخر .

رابعاً/ الشبهة المتعلقة بعدم إعراب القرآن الكريم : وهنا عرض البحث إلى ما ادّعاه بعض المستشرقين من أنّ القرآن الكريم كان غير معرب ، وقد كُتب بلغة عوام قريش ثم نقّحه العلماءُ بعد ذلك .

وختاما نقول إننا حاولنا جاهدين إبراز الحقيقة فإن وقفنا لذلك فالفضل كلُّ الفضل لمن أنعم علينا بجريان ذكره على ألسنتنا وإذنه لنا بدعائه وتسبيحه ، وإلاّ فحسبنا أننا بذلا جهداً في تقصي ذلك والبحث عنها وتوخي المعلومة من مظانها ولم ندخر في ذلك وسعا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمهيد

إنّ النص القرآني فيه من الحصانة ما لا يوجد في أيِّ نصٍّ لغويّ آخر ، بفضل ما تمتّع به من قوةٍ في أسلوب استعمال الألفاظ وترتيبها وما فيه من قرائن عديدة في الآية الواحدة ، أو في السورة ما عجز الإنسان من استعمالها في كلامه مهما قصُرَ أو طال ، فقد تجد قرينة أو أكثر في عبارة معيّنة تُغني عن الإتيان بعبارات أخرى ساندة للأولى ، غير أنّ تلك القرينة أو القرائن تغني ، فتظهر قليلة اللفظ كثيفة المعنى ، وهذا الأمر ممّا أوقع كثيراً من ذوي العقول المحدودة في أنّ يطعَن بالقرآن ، لذلك نجد آخر عندما يقدّم القرآن بهذا الفهم القاصر يقدّمه نصاً لا يقوى على المواجهة مع الخصوم فيطعَنَ به بوصفه غير قادرٍ على محاكاة الواقع الذي هو فيه .

ولعلّ أهم أمرٍ حاولوا من خلاله الطعن بالقرآن هو اللغة ، إذ وصموا لغة القرآن الكريم بأنّها تحتوي على ألفاظ غير عربية من نحو السريانية والعبرية والحبشية والفارسية وغيرها ، أو أنّ أصل دلالتها مأخوذة من تلك اللغات ، أو أن أسلوب القرآن اللغوي هو الأسلوب الذي هيمن على أسلوب الكهان القدماء آنذاك .

إنّ البحث يحاول أن يُوهِنَ هذه المفتريات ؛ لأنّ الألفاظ غير العربية تُضْعِف من بلاغة القرآن ، ولو كان فيه ـــ كما يقال ـــ من الأعجمي لفظ أو معنى أو غير ذلك لوقفت قريش اتجاهه معارضة لقوله تعالى : **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)**[1] ، ولا يأخذنك التسرع فتتوهم أنّ لفظة (عربي) تعني هنا الانتماء الى العِرق العربي ، بل جاءت هنا بمعنى الإبانة والوضوح والإفصاح ، جاء في معجم

مقاييس اللغة أن (العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها الإنابة والإفصاح، والآخر النَّشاطُ وطيبُ النَّفس، والثالث فسادٌ في جسمٍ أو عضو. فالأوّل قولهم: أعرب الرّجُل عن نفسه، إذا بيَّنَ وأوضح) [2] ، وهو خلاف العجمة والغموض .

ولعلّ أهم ما وقع فيه كثيرٌ من المستشرقين في شأن لغة القرآن الكريم تتحدّد في الشبهات الآتية :

أولا / شبهة المستشرقين المتعلقة بمحاكاة أسلوب القرآن لأسلوب سجع الكهان:

إنّ الشبهة التي أثارها بعض المستشرقين عن أسلوب القرآن الكريم وتأثره بسجْع الكهان المعروف بعبارته القصيرة والمسجوعة على فق نظام صوتي معيّن كانت شبهةً قديمة أثارها مشركو العرب من قبل ، وأنّ سجْع الكهان – كما هو معروف – تكون في معانيه نوع من غموض العبارة وسذاجة الفكرة ، وأنّ سُوَر العهد المكي كان فيها ما يخالف ذلك بأشياء كثيرة ميّزته من سجْع الكهان ، غير أنّ قصيري النظر وقليلي العلم بالعربية قد غَشِيَ عليهم ذلك فتوهّموا أنّ ما في القرآن هو من سجْع الكهان وعباراتهم بل هو محض كذب ، فهذا نولدكه يتكلم عن أسلوب القرآن ويقول : (هذا الأسلوب الذي هيمن على أقوال الكهان القدماء استعمله أيضاً محمد مُدخِلاً عليه بعض التعديلات ، فهو لم يتمسك بتساوي الأجزاء المختلفة في الطول ، وأطال الآيات في السور المتأخرة بشكل متواتر مستعملاً الفاصلة بحُرّية)[3] ، غير أنّ هذا التسجْيع مختلف عن سجْع الكهان وطريقة كلامهم وقد رصد العلماء المسلمون ذلك من قبل ، ففرّقوا بين أسلوب القرآن الكريم وما فيه من فواصل تنهي الآية عن أختها ، وبين ما تنتهي إليه أواخر السجْع ، ذلك أنّ في الفاصلة يقع إفهام للمعنى أي أنّ الفاصلة تتبع المعنى وتأتي موضّحة له ، في حين أنّ السجْع تكون المعاني تابعةً له ، ويكون اللفظ هو المهيمن على المعنى لا العكس ، يقول الباقلاني (ت403هـ) في ذلك : (وأمّا الفواصل فهي حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة ، والأسجاع عيب ؛لأنّ السجْع يتبعه المعنى والفواصل تابعة للمعاني)[4] ، ولعلّ ما جاء من سجْع الكهان هو ما كان من كلام مسيلمة الكذّاب وسجاح التميمية في محاورة لهما ، وقد طوّعا المعاني وجعلاها خادمة للفظ كي تأتي على نسقٍ موسيقي متشابه بقصد حصول الإيقاع والنغم المفضي الى إحداث الوقْع المؤثر على أُذُن المتلقي العربي البدوي الذي استطاب ذلك مع ما فيه من تفاهة في المعنى وسذاجة في الفكرة ، غير أنّها ذات وقْع موسيقي يأخذ بأُذُن السامع آنذاك ، قالت سجاح بنت الحارث وكانت تتنبّأ إذ اجتمع معها مسيلمة : (ما أوحي إليك ؟ فقال : " ألم تر كيف فعل ربّك بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، ما بين صفاق وحشا " وقالت : فما بعد ذلك ؟ قال : أُوحي إليّ : " أنّ الله خلق النساء أفواجا ، وجعل الرجال لهن أزواجاً ، فنولج فيهن قَعْساً إيلاجاً ، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجاً ، فينتجن لنا سخالاً نتاجا " فقالت : أشهد أنّك نبي)[5] .

إنّ ما وقع من التسجيع من القرآن يختلف عما هو عليه من هذه التفاهات ، فمتى ارتبط المعنى بالسجْع كانت إفادته لا تتعدى التنغيم المرتبط بهبوط نغماته وارتفاعها وتناغمها مع أذُن السامع ، إلاّ أنّه أقل فائدة وأبسط فكرةً وأكثر سذاجة ، لكن ارتباط المعنى

بنفسه دون السجْع يكون مستجلباً لتحسين الكلام من دون تصحيح المعنى [6] ،؛ لأنّ حلاوة المعنى وجودته مع الإيقاع الموسيقي المتناغم معها يكسبها حلاوة في السمع أشدّ من السجْع لوحده المقترن بسذاجة العبارة وضَعْف المعنى .

هكذا يفترق التسجيع الذي ظهر واضحاً في السور المكية عمّا هو عليه من سجْع الكهان ، الذي نهى عنه النبي محمد " صلى الله عليه وآله " وذمّه وقد رُوِيَ عنه " صلى الله عليه وآله " أنّه (قال للذين جاؤوه وكلّموه في شأن الجنين : كيف نَدِيَ مَنْ لا شَرِب ولا أكَلَ ، ولا صاح ولا استهلّ ، أليس دمه قد يُطلّ ؟ فقال : " أسجاعة كسجاعة الجاهلية ؟ " وفي بعضها : أسجْعاً كسجْع الكهّان)[7] ، ذامّاً ما تفوّهوا به ورادّاً عليهم ما هم عليه .

وقد اتهم المشركون القرآنَ من قبل أنّه كلام كاهن مسجوع بعدما سمعوا ما قرأ عليهم النبيُّ محمد " صلى الله عليه وآله " في بطن الكعبة فانبهروا بما سمعوا وتحيّروا فلم يحروا جواباً للردِّ عليه فاجتمع كيدهم وقالوا كلام شاعر ومجنون أو هرطقات كاهن ، فردّ عليهم القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى : **(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)**[8] ، ثم تحداهم أن يأتوا بمثله فقال تعالى : **(أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)** [9] .

وقد كان كثيرٌ من مشركي العرب ممّن بلغ مبلغاً كبيراً في البلاغة وحُسن الكلام يقعون ساجدين لمّا سمعوا من هذا الكلام الذي يختلف عمّا عليه عامة العرب وفصحائهم وشعرائهم ، وقد تنبّه المستشرق كولين تيرنر لأسلوب السور القرآنية المكية الممتلئة جمالاً وحسناً وإعجازاً لغوياً ، فقال فيها : (تتميز السور المكية بالنواحي الجمالية والرمزية والمجازية في اللغة التي لا تخلو من الحسّ الدرامي ، وممّا لا شك فيه ، أنّ استماع العرب في ذلك الوقت الى الإعجاز اللغوي في القرآن قد أصابهم بالدهشة والذهول بالمعنى الحرفي للكلمة ... فقد روت بعض الأحاديث كيف كان مشركو مكة يقعون ساجدين لمدى بلاغة الآيات فحسب) [10] ، وهكذا نرى أنّ الحق أنطقهم بما هو عليه أسلوب القرآن لا كما تصوّره بعضهم نتيجة لدوافع استعمارية أو مخابراتية أو عقدية ، إذ إنّ هذه الأهداف قد أسدلت غشاوة على أبصارهم وبصائرهم فلم يعد يروا غير ما يشوّه صورة القرآن العظيم ، فصوّروا أسلوبه - خاصة ما كان من السور المكية - أنها مضطربة أو فضفاضة لا يستقيم مع الحالة ، فهذا نولدكه يصف أسلوب القرآن بقوله : (يختلف أسلوب القرآن تبعاً لأوقات القرآن المختلفة ... فبينما تشي بعض المقاطع الأولى باضطراب شديد أو بجلال هادىء ، تجد في أقسام أخرى لغة عادية فضفاضة أقرب ما تكون الى النثر)[11] ، ونسي أن ما بين أصواته وحروفه وجمله وعباراته إيقاع لو تأمّله لوجد ذلك التوازن الذي أحدثه انسجام صفات أصواته ومخارج حروفه مع إيقاع نبره وقوة نغماته مع فواصله قد زاد عباراته هيبةً وجلالاً مع اتزان عجيب ، فلا ينفك جهر أصواته أو همسها وانسيابها مع مخارج حروفه وصفاتها إلاّ أن تزيد معانيه وضوحاً ، ودلالاته أثراً في المتلقي وديمومة عَبْر العصور والأزمان لوقْع موسيقاه التي تهتز لها المشاعر .

ثانياً/ الشبهة المتعلقة بالمعاني القرآنية :

يذهب المستشرق الانكليزي مونتجمري واط الى أنّ من الألفاظ العربية قد انحرف معناها عن أصل وضعها اللغوي فأخذت معاني جديدة من بعض اللغات الأخرى ليوهم أنّ العربية غير قادرة على استقدام المعاني الجديدة التي تتوافق مع حركة المجتمع ، فيقول : (فالجذر العربي " ز ك ا " يعني في المعنى الأساسي نما وأزدهر لكن استقدامه قد تأثر بهذه اللغات الأخرى .... ففي هذه اللغات تعني الكلمة المقابلة – على نحو خاص – الطهارة الأخلاقية ، وغرابة هذه الفكرة بالنسبة للعرب – رغم أنّها قد لا تكون وصلتهم عن طريق القرآن الكريم – قد تساعدنا في تفسير استخدامهم لمصطلح مثل " تزكى " لوصف هذه الفكرة ، أنها منفصلة عن الطهارة كنسك أو طقس)[12] ، غير أنّ المستشرق لم يكن قد اطّلع اطلاعاً تاماً على أصل معناها من كتب اللغة والاصطلاح ، إذ اكتفى بمعنى النماء والازدهار على ظاهرها ، ونسي أنّ من قابلية اللغة على استقدام المعاني ما كان السياق دالاً عليها ومشيراً إليها ، وأنّ الأصل في المعنى لا يعدو أن يكون معنى عاماً جامداً ، وعند سَوْقِه في جملة أو عبارة فأنه سيكتسب من الحركة ما يدلّ على تمثيل معانٍ جديدة لا تبتعد كثيراً عن ذلك الأصل ، فالألفاظ إذا ، تكتسب معانيها المتحركة من خلال السياق الذي ترد فيه والتركيب النحوي للجملة ، وأنّ في كلّ لغة (دوال ماهية) وهي مواد اللغة المعجمية ، و(دوال نسبة) وهي ما يطرأ على هذه المواد في أثناء تركيبها من تقديم وتأخير ، ولواحق وصيغ وعلامات وغيرها ، جاء في مقاييس اللغة : (الزاي والكاف والحرف المعتل أصل يدلّ على نماء وزيادة ، ويُقال : الطهارة زكاة المال ، قال بعضهم سُمّيت بذلك ممّا يُرجى به زكاء المال ، وهو زيادته ونماؤه، وقال بعضهم : سميت زكاة لأنها طهارة)[13] ، والطهارة في أصل معناها زيادة في نقاء بإزالة الدنس ، قال ابن فارس (ت 395هـ) : (الطاء والهاء والراء أصل واحد صحيح يدل على نقاء وزوال دنس)[14] ، فكلّما زِيد في إزالة الدنس ، ازداد من يقوم بذلك طهارةً ، فتكون الطهارة بذلك دالة على نماء وازدهار إلاّ أنّه يكون مختصاً بالنفس والبدن ، فبعد ذلك تطور بحكم قانون التطور الى معنى طهارة الأموال مما يعلق بها من حقوق .

إذا ، دلالة " زكا " في الإسلام لم تكن بعيدة عن أصل النماء والازدهار بل وُظّفت توظيفاً جديداً يتفق مع ما عليه التشريع الجديد المتمثل بدفع المال بقصد التطهّر والتخلّص ممّا علق بها ، وهذا الأمر لم يكن بعيداً كذلك عن قانون تطوّر اللغات ومحاكاتها للواقع الاجتماعي والعقائدي والديني للمجتمع اللغوي ، بل يُعدُّ هذا من حسنات اللغة وعظمة العربية في مواكبة التطوّر لذلك المجتمع الذي تعيشه اللغة ، لذا عندما يتوافق المعنى الجديد مع بعض اللغات الأخرى لا يُعدُّ مشتقاً منها ، بل هي عبقرية في تلك

اللغات لا اتباعاً للغة أجنبية أخرى ـــ كما يرى ذلك المستشرق مونتجمري واط ـــ حين سأل عن تغيّر معنى الزكاة وارتباط التزكي بدفع المال ، قال : (رُبما كانت هذه الكلمة مشتقة من الآرامية ، حيث الزكاة تعني التطهّر وليس أداء المال أم أنّ تغير المعنى كان بفعل اليهود المستقرين في شبه الجزيرة العربية ، أم أنّ هذا كان بفعل محمد نفسه)[15] .

نعم قد يكون ذلك بفعل النبي محمد " صلى الله عليه وآله " ؛ لأنّه كان أكثر إحساساً من غيره باللغة فقد استقى لغته من منابعها الأصيلة النقية البعيدة عن العجمة فورث منها ما كان يُعينه على فك ألغازها التي عجز عنها زعماء البلاغة في زمانه فسوّغ ما جاء في كتاب الله تعالى من معاني الطهارة وإنفاق المال من ألفاظ الزكاة ومشتقاتها مفسراً لها ومعيناً على فهمها للمسلمين كافة ، وكان النبي محمد " صلى الله عليه وآله " قد تكلم بأشياء لم يتكلم بها أحد من قبله إحساساً منه باللغة ، منها ما نقله السيوطي حين قال : (إذا مات الإنسان من غير قتل قيل : مات حتف أنفه .... ومعنى " مات حتف أنفه " أنّ روحه تخرج من أنفه بتتابع نَفَسه ؛ لأنّ الميت على فراشه من غير قتل يتنفّس حتى ينقضي رمقه فخصّ الأنف بذلك ؛ لأنّه من جهته ينقضي الرمق)[16] ، وهذا الإحساس بشفافية اللغة ومرونتها على تقبّل المعاني لا يُتاح إلاّ لمن أُوتي حظٌ عظيم في فهمها وتذوقها ، لذلك نجد الأمام الشافعي (ت 204هـ) يقول : (ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يُحيط بجميع علمه إنساناً غير نبي)[17] ، والنبي محمد " صلى الله عليه وآله " أوّل من تكلّم بوصف الفرس بحراً ، فالفرس إذا كان لا ينقطع جريه فهو بحر ، وشُبّه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه فجعل عدم انقطاع الجري منه كعدم انقطاع الماء البحر[18] .

الأمر نفسه في لفظة (حُنفاء) التي أوردها مونتجمري واط حين قال : (الدارسون المحدثون الذين درسوا هذه المسألة يعتقدون أن الكلمة – بصفة أساسية – مستعارة من النبط nabateans ، فهي في لغتهم تعني من يعتنق بعض فروع دينهم الشامي – العربي المتأثر جزئياً – بالثقافة الهيلينية)[19] ، واعتناق دين جديد يعدُّ انحرافاً عن الدين الأصلي بوصف الدين الجديد دينا مستقيماً عنده ، أي أنّ معنى الانحراف في أصل وضعه قد تحقّق في " حنف " وهذا أصل المعنى في العربية ، يقول ابن فارس : (الحاء والنون والفاء أصل مستقيم ، وهو الميل .... والحنيف المائل الى الدين المستقيم)[20] ، وهذا مما يدحض مقولة استقدام هذا المعنى من لغة النبط أو غيرها الى العربية ، مع علمنا أنّ الأنباط في الأصل قوم عرب من عبدة اللات وذي الشرى ، غير أنّها دخلت أرض جنوب فلسطين بما يعرف اليوم بمملكة شرق الأردن في القرن الخامس قبل الميلاد وتركوا حياة الرعي الى حياة الزراعة ، ومن هنا سموا بالأنباط الذين يستنبطون الأرض من أجل الزراعة [21] ، ويذهب إسرائيل ولفنسون الى أن الأنباط (من الأقوام العربية التي اتصلت بيهود يثرب فتهوّدت بعض أفخاذها .... وأمّا الآثار النبطية فتنقسم الى ثلاثة مناطق حيث كُثِف بعضها في ناحية العلى بالحجاز وبعضها في منطقة بترا بطور سيناء وبعضها في منطقة بصرا بالشام)[22] .

وقد وردت لفظة (حنف) في بعض اللغات السامية تحمل معاني متضادة ، ففي (العبرية "حنف" عديم التقوى ، ملحد ، منافق .... وفي السريانية " حنفا " : كافر ، وثني صابيء)[23] .

هذا يعني أنّ الأصول واحدة والمسكن واحد فربما تقاسمت العربية والنبطية وغيرها من اللغات الجزرية هذا اللفظ ومعناه ، أو أنّ اللغة العربية قد طوّرت ذلك المعنى بما يناسب الحالة التي هم عليها ، وأنّ القرآن قد استعمله بمعنى متطور عن الأصل بفضل ظهور الإسلام وحاجة المجتمع العربي المسلم الى المعاني المتطورة مع الحالة الإسلامية ، لذلك جاء قوله تعالى : **(وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً)**[24] على أصل المعنى أيّ المائل الى الدين المستقيم ، ثم خرج عن أصل معناه فقيل : الحنيف الناسك ، ويقال أيضاً في المختون ، أو هو المستقيم الطريقة ، وقيل : يتحنّف : أيّ يتحرى أقومَ الطريق[25] ، على سبيل الاتساع والتطور في دلالة اللفظة ومعناها .

فهل يُعدُّ هذا اقتباساً بعد أن علمنا قوة العربية على استحداث المعاني عن أصل وضعها واستقدامها وفق أصولها ، وأنّ خروجها عن ذلك الأصل لا يعني بأي حال استعانتها باللغات الأخرى في جلب هذه المعاني ، وإنّما هو قانون العربية في إيجادها وتطويرها ، وإن وافقت الألفاظ والمعاني اللغات الأخرى التي تمتلك قوة الإيجاد مثل العربية ، فاللغتان من أصل واحد وتحملان عناصر اللغة الجزرية الأصل غير أنّ المتكلمين يختلفون في كيفية تفعيل هذه العناصر وتثويرها أو تحفيزها في استجلاب المعاني وفق أصولها اللفظية ، أيّ أنّ مستعمل اللغة له الدور المهم في ذلك إذ لا يُكْتفى باللغة وحدها من دون الحاجة الى المستعمل الحاذق في تثوير قدرتها وقابليتها على الايجاد .

ثالثا/الشبهة المتعلقة بأصول الألفاظ :

ذهب طائفة من المستشرقين حينما وجدوا لفظة قد استعملت استعمالاً قليلاً أو نادراً إلى إنّها أعجمية أو مستوردة من لغات أخرى ، ولو تمعّنوا فيها جيداً أو في غيرها لعادوا الى رشدهم وقالوا بأصالتها العربية لكنّ الأهداف التي رُسمت لهم كان لها الأثر الكبير في هذا التوجّه ضد القرآن واتهامه بعجمة بعض ألفاظه إلاّ القليل ممّن أنصفه وكان هدفه علمي فآمن أنّ القرآن يخلو من كل ما يمت الى غير العربية من ألفاظ من نحو المستشرف كولين تيرنر في كتابه " الإسلام – الأسس " .

يمكننا أن نستدل على عروبة ألفاظ القرآن من خلال القرآن نفسه الذي صرّح في كثير من آياته وسُوَرِه بذلك فضلاً عن إيحائه بها في أكثر من مناسبة ترد في القرآن الكريم ، وكذلك من خلال اللغة العربية عند مقارنتها مع أخواتها الجزريات التي أفصحت عن كثرة جذورها اللغوية وقابليتها على النمو والتطور وفق آلياتها وقوانينها :

1. الأدلة على عروبة ألفاظ القرآن الكريم المستوحاة من القرآن الكريم نفسه :

لم يكُن خافياً على أحد سواء أكان من المسلمين أم من المستشرقين أنّ القرآن الكريم لم يدع قضية إلاّ وخاض فيها حتى كان تبياناً لكلّ شيء تلميحاً أو إفصاحاً ، ومن ذلك عروبة ألفاظه وأسلوبه الذي سحر القوم ببيانه وعجيب نظمه وانسجام معانيه مع ألفاظه ، صوتاً ودلالةً فأصبح مميزاً لا يشبهه كلامٌ آخر شعراً أو نثرا .

لقد دّلنا القرآن الكريم على عروبة ألفاظه بما يأتي :

- الآيات التي ذكرت نزوله بلسان النبي محمد " صلى الله عليه وآله " وهو أفصح العرب لغةً ومنطقاً إذ أخذ لغته ـــ على عادة العرب إذا ولد لهم مولود أرسلوه الى البادية ـــ من قبيلة سعد بن بكر وهي من أفصح قبائل العرب ، (وهم الذين يُقال لهم عُليا هوازن وهي خمسة قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر وجُشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، قال أبو عُبيد : وأحسبُ أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر وذلك لقول رسول الله " صلى الله عليه وآله " : أناْ أفصح العرب بيد أنّي من قريش وأنّي نشأت في بني سعد بن بكر ، وكان مسترضعاً فيهم)[26] ، فكان لسانه فصيحاً ليناً يسيراً وما أن قرأ على قريش شيئاً من القرآن حتى تلقوه وهو يطرق أسماعهم فوقعوا لما سمعوا ساجدين ، فآمن منهم كثير لسماعه وهو يُتلى بلسان النبي محمد (ص) ، قال تعالى : **(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً)**[27] ، أي كثيرو الجدل والخصومة ، وقال تعالى أيضاً : **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ)**[28] ، ليكون عليهم حجة لفهم معانيه وإدراك معانيه ولو كان بغير لسانهم لاحتجّوا بغموض النص وعدم فَهْم ما يُريد أو يشرّع ، ولاعتذروا بعدم قبوله كتاباً يهتدون به .
- لعلّ ممّا يشير الى عروبة الألفاظ القرآنية أنه نزل بلسان عربي مبين ليس فيه عوّج يُفضي الى غموض في الدلالة أو غرابة في اللفظ حتى يكون حجة عليه بعدم فهم معانيه وإدراك دلالاته ، فقد جاء فيه من قوله تعالى : **(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)**[29] وغيره من الآيات التي اقترن فيها لفظ "اللسان" بلفظ "العربي" ، واللسان فيها بمعنى اللغة أي أنّ القرآن نزل بلغة مفهومة واضحة فصيحة لا لبس فيها ولا إبهام .

إنّ لفظة "عربي" ما كانت إلاّ لتدل على الوضوح والإفصاح والبيان ، لا بمعنى النسبة الى العرب ، ولو كان كذلك لاحتجَّ القوم على النبي محمد " صلى الله عليه وآله " في أنّ هناك من القبائل العربية ما كانت تخالط لغتُهم لغةَ الأعاجم كالقبائل المجاورة للروم والفرس والأحباش أو ما كان لهم اختلاط مع الهند وغيرهم من الأقوام الأعجمية ، وهذا ممّا يطعن بالقرآن باحتوائه على لغات هؤلاء الأعاجم .

فقد جاءت لفظة " عربي " في اللغة تدل على التحضّر والفصاحة والبيان حتى أنّ الأعرابي إذا قيل له : يا عربي ، فرِح وهشَّ له ، والعربي إذا قيل له : يا أعرابي : غضب له[30]، لما في العربي من إيحاء بالتحضّر ولما في الأعرابي من إيحاء بالبداوة والتأخر ؛ لأنّ العرب هم أهل الأمصار والأعراب منهم سكان البادية وعليه فان التعرّب أن يرجع الفرد الى البادية بعدما كان مقيماً في الحضر فيلحق بالأعراب [31] ،ومن معاني"عَرَبَ" أيضاً الإفصاح والإبانة عن المعاني وتقول:(رجلٌ عربيُّ اللسان، إذا كان فصيح اللسان ... قال الأزهري : الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة ، يُقال أعرب عنه لسانه وعرّب أي أبان وأفصح)[32] ، ولعلّ دلالة الإفصاح والإبانة هي أصل المعنى للفظة "عرب" قال ابن فارس : (العين والراء والباء أصول ثلاثة : أحدهما الإبانة والإفصاح)[33] ، إذاً ، اجتمع في لفظة "عرب" كل هذه الدلالات وهي تقترن مع لفظ " اللسان " في مجمل الآيات القرآنية ، ففي قوله تعالى **(وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)**[34] ، وقوله سبحانه : **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ *عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)**[35] ، قد اقترنت اللفظة بـ " مبين " لتدل على الوضوح ، في حين جاء في قوله تعالى : **(أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ)**[36] ، قد اقترن بما يُضاد العجمة ليدلّ على الفصاحة والبيان ، وأما في قوله جل ثناؤه **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**[37] اقترن بالعقل لتدل على عدم الجهل ، وهو الفهم والعلم ، وجاءت أيضاً بمعنى التفصيل الذي يدلّ على الإبانة أيضاً في وضع الأحكام بعد اقترانه بالحكم الذي يضع الأمور في نصابها وإلاّ لم يكن حكماً في قوله تعالى : **(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً)** [38] ، والأمر عينه في قوله سبحانه : **(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ الْوَعِيدِ)**[39] بدلالة اقترانه بالفعل (صرّف) ، وفي قوله تعالى **(كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)**[40] اقترن أيضاً بالفعل (فصّل ، يعلم) ، وهكذا لباقي الآيات القرآنية إذ لا نجد فيها أية علاقة للفظة "عربي" باللغة العربية ، وإنّما دلّت على التحضر والوضوح والإبانة والافصاح ، بفعل القرائن الموجودة في كل آية وردت فيها ، وأنّ هذه الدلالات لا يكتنفها الغموض في المعنى ولا اللبس أو الوهم ، ولو كان كذلك لدلّت نسبة اللسان الى اللغة العربية عامة ، ونحن نعلم أن كلّ لغة تأخذ وتعطي من الألفاظ والمعاني لما جاورها من اللغات الأخرى ، غير أن النص القرآني كان دقيقاً في اختيار القرائن الدالة على نسبة اللسان الى الإفصاح والابانة وعدم الغموض ،وهذا مما يدلّ على خلوّ القرآن الكريم مما يُعيبه من الألفاظ الأعجمية.

- نزول القرآن بأفصح لغات العرب ، وقد هيّأ الله تعالى ذلك قبل البعثة النبوية المباركة إذ كان يجتمع شعراء العرب وبلغاؤهم في مواسم الحج وأسواقهم المشهورة من نحو سوق عكاظ وذي المجاز وغيرها يتبارون الشعر فكان الشاعر ينظم قصائده وأشعاره بأفصح ما في لغتهم ويترك ما أستُهجِن من ألفاظها أو ذُمَّ ، وكانت قريش تتخيّر منها أحسنها لغة وأفصحها لفظاً وأعذبها أصواتاً ونغماً لتضمّها الى لغتها حتى اجتمع فيها أفصح لغات العرب ، فوُصِفت بأنّها من أرقّها لساناً وأعلاها بلاغةً وأوسعها معنى حتى كان لقريش الفضل في ذلك على سائر العرب ، وسُمّوا أهل الله وجيران بيته وقطّان حرمه ، قال ابن فارس (ت 395هـ) : (وكانت قريش مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورقّة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طُبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب . ألاّ ترى أنّك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ، وعجرفية قيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكسة ربيعة) [41] ، ونزل القرآن في هذه اللغة النقية التي ارتفعت عن المذموم من لغات العرب الأخرى فأعجزتهم في أن يجاروها لفظاً ومعنى حتى قال قائلهم فيه وقد دخلت الروعة عليهم فأزعجتهم : (إنّ له لحلاوة ، وأنّ عليه لطلاوة ، وأنّ أسفله لمغدق ، وأنّ أعلاه لمثمر)[42] ، فأحكمت لغة القرآن بسلطانها عليهم فلاذوا بها منهجاً يسيرون عليه ، فامتنعت قريش عن مجاراتها ومعاداتها، فهم لم يعادوا القرآن ولا لغته لمّا لمسوا من عظمة هذه المقالة العظيمة ، وهو فضلاً عن ذلك لم يكن غريباً عليهم ، إذ هم قد فهموه ووقفوا على أسراره ودقائقه [43] ، بل حاربوا النبي محمد " صلى الله عليه وآله " بشخصه؛ لأنّهم كانوا يرون فيه المانع لسطوتهم وقوتهم والموازي لهم في السيطرة على باقي قبائل الجزيرة العربية ، فقريش لم تحز الفضل على الجزيرة بقوتها ، إذ أنّها كانت من أضعف قبائل العرب قوةً ، وقد عيّر أحد الأعراب معاويةَ حين أكثر من ذكر فضائل قريش على العرب لسامعيه فقال له : لقد كنا نأكل من سيوفنا وقريش تجار ، وهو في هذا قد غمزهم بالإشارة الى إيلاف قريش ، وذكر أنّ العرب تغزو وقريش لا تغزو[44] ، وكان الغزو ممّا يُستحسن من عادات الجاهلية ، لكنّ قريش حازت كل ذلك الفضل والهيبة لأسباب كثيرة [45] ، لعلّ من أهمها موقعا الديني بوصف مكة مركزاً دينيا موحِّداً للشتات الديني ، فكانت الكعبة مهوى قلوب الناس يفدون إليها من كل فجٍّ عميق إذ كانت موئلاً لوحدة اللغة والعبادة والمناجاة ، ولمّا نزل القرآن مبشراً بدين جامع لكل الشتات الديني والعقائدي في الجزيرة العربية احتاج الناس الى توحيد لغة العبادة فوجدوا في لغة القرآن الموحِّدة لكل ذلك ، إذ لم يَعُد مفهوم القوة هو المسيطر على بقاء اللغة أو اندثارها ولو كان كذلك لكان هناك من قبائل أقوى من قريش عدداً وعُدةً غير أنّ لغتها لم تكن ذات أثر في توحيد العرب عليها ، بل كانت لغة قريش التي انصهرت في قواعدها وأصولها كل اللهجات العربية آنذاك فلم يكن باستطاعة الشاعر الجاهلي إلاّ أن يقول شعراً وفق أصولها وفنونها وإلاّ عُدَّ في قائمة المجهولين والضعفاء ممن خمِل ذكرهم أو ضَعُف .
- جهلُ المستشرقين بلغة القرآن الكريم ومعاني ألفاظه ودلالاته ، فضلاً عن جهلهم بلغات العرب ، إذ كان عليهم أن يتدبّروها ويدرسوا أماكن تواجدها وتوزيعها و أماكن التأثير والأثر فيها بلغات الأقوام المجاورة لهم ، وقوة حصانة اللغة العربية وعدم سماحها لباقي اللغات لاجتياز حصونها ، وقد اعترف غيُر واحد من هؤلاء المستشرقين بقلّة علمه فيها ، فالمستشرق الألماني بروكلمان يقول : (كان يعيش الى جانب اللغة الشعرية في شمالي الجزيرة العربية لهجات القبائل كذلك ، تلك اللهجات التي لا نعرف عنها إلاّ الشيء الضئيل عن طريق النحويين المتأخرين ، غير أنّنا نعرف إحدى هذه اللهجات ، وهي لهجة مكة عن قرب ، فهي تكون الأساس الذي بُني عليه القرآن الكريم)[46] ، فضلاً عن ذلك نجد آخر يُعلن عن قلّة معرفته بمفردات كثيرة من اللغات السامية ، ويُعلل ذلك بفقدان اللغات لقسم من كلماتها الأصلية على مرِّ الأزمان ، وقد رتّب على ذلك شكوكاً كثيرة في بناء نتائجه على ضوء ذلك [47] .

هذا ممّا يوحي لنا أنّ أحكام هؤلاء المستشرقين في ذلك لا تستند الى دليل علمي واضح ، فضلاً عن ذلك اعترافهم أنّ العرب لم تحتفظ بتراثها اللغوي قبل القرآن برُقُم طينية أو آثار عينية وهذا ممّا سبّب غياب كثير من المعلومات عنهم .

ولعلّ أول وثيقة وأصدقها تدل على لغة العرب هي القرآن الكريم بوصفه نصاً وصل مكتوباً وموثّقاً ، ومن جانب آخر نراهم قد شككوا في صحة الشعر الجاهلي ؛ لأنّه لم يصلهم مكتوباً أو موثّقاً ، وكانوا يرون أنه كُتِب في عصر متأخر عن ظهور الاسلام ، لذلك كانت أكثر أحكامهم في اللغة العربية أو في لغة القرآن ظنّية لا تقوى أمام الدليل العلمي فتهاوت كلّ أقوالهم التي طعنت لغة القرآن .

- ولمّا لم يجد المستشرقون مهمزاً للطعن بالقرآن من خلال ضَعْف استشهادهم بعجمة الألفاظ القرآنية حاولوا الطعن به من خلال أسلوبه ، فقالوا إنه كلام ساحر أو مجنون أو أنّه كلام كاهن ، وقد بيّنا ضَعْف هذه الأقوال وتهافتها بعد أن علمنا افتراق أسلوب القرآن ـــ وخاصة السور المكية ـــ عن كلام الشعراء والمجانين والكهان والمنجمين .

لكنهم ذهبوا الى أبعد من ذلك عندما جعلوا من أسلوب اللغة السريانية هو المؤثر في أسلوب القرآن الكريم ، ومن هؤلاء المستشرق مينغانا إذ كان يرى في أسلوبه (مختلفاً نسبياً عن العربية الكلاسيكية المعروفة لدينا من القرن الثامن وما قبله ، وأنّ أسلوبه يعاني من القصور الذي يميز أول محاولة في لغة أدبية جديدة تقع تحت تأثير لغة قديمة ذات أدب أكثر رسوخاً وهذه اللغة الأقدم والأدب الأكثر تنضيداً ـــ حسب محاكمتنا ـــ هي بدون أدنى ريب السريانية أكثر من أي لغة أخرى)[48] ، لكنّنا نعلم أنّ

اللغة السريانية هي من أكثر اللغات تأثيراً بغيرها ، فنجد فيها حتى يومنا هذا كثيراً من ألفاظ اللغات السامية والفارسية واليونانية وغيرها ، فأنّى لها أن تؤثر في أسلوب القرآن الذي جاء خالياً من كلّ هذه المؤثرات .

2. الأدلة على عروبة ألفاظ القرآن من اللغة العربية :

بعد إجراء البحوث والتنقيبات في أرض العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام وغيرها من المناطق المجاورة من قبل علماء الآثار والتنقيبات والمستشرقين قد بيّنت حقائق أكيدة عن اللغات الجزرية ودرجة القربى بينها من جهة النشأة والأصل والقواعد وغيرها من المسائل التي اشتركت بها هذه اللغات حتى بات لدينا ما يمكن ذكره بأنّ العربية هي أقرب اللغات الجزرية الى اللغة الأم التي تفرّع عنها باقي اللغات وأنّ هناك أصولاً مشتركة بينها وقد اختفت من بعضها واحتفظت بها العربية من دون سواها من أخواتها الجزرية ، إذ نجد كثيراً من الجذور اللغوية مفقودة من بعضها أو أنّ تلك الجذور أقل بكثير ممّا في العربية ، ووُجِد أنّ فيها مصادر لا أصل لها في لغتها في حين نجدها في العربية ، ولعلّ ذلك راجع الى سعتها وقلّة اختلاطها عبر العصور التأريخية قبل الاسلام بغيرها من اللغات الأخرى وابتعادها عن الصراعات اللغوية آنذاك ، ممّا سبَّب في احتفاظها بتلك الأصول القديمة والقوانين التي عملت على توسيعها من نحو الاشتقاق والقياس وغيرها من عوامل النمو والتطور ؛ لأنّ لكل لغة آلياتها التي توظّفها لإنتاج اللغة واستعمالها في مجتمعها اللغوي الذي يتلقاها بالقبول وعند ذاك لا يمكن لأحد أنّ يُخطِّأ واضع تلك اللغة أو مستعملها من غير مجتمعها ؛ لأنّ قوانين لغته هي التي حكّمت فيها ذلك ، وليس من خلال قوانين لغة أخرى .

لقد عاب المستشرقون كثيرا على لغة القرآن مع علمهم أنّ الذي لديهم لا يؤهلهم الى نقد اللغة بسبب جهلهم بأكثر أمور العربية فكيف وهم ينقدون القرآن وقد نزل بأفصح لغة وأجمل بيان وأعظم دلالة ، إذ كان كلام الله سبحانه وقد قرن تعالى هذه اللغة المباركة به وجعل من عظمة استعمال ألفاظه ومعانيه ما فاق قدرة البشر والمتكلمين بها من بلغاء العرب وفصحائهم ، إذ كان لفضيلة الاستعمال الأمثل لكلماته وألفاظه ممّا أعجز البشر أن يأتوا بمثله حتى قال تعالى : **(قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)**[49] .

لعلّ من نافلة القول أن ندرج بعض الأدلة المستقاة من العربية التي تشير الى ما لا يُشين القرآن من عجمة في ألفاظه أو كلماته أو معانيه فقد جاء القرآن خالصاً مبرّءاً من كلّ ذلك وأن ظهر صوتٌ هنا أو هناك يقول بعجمة ألفاظه فذلك أمّا لقلّة في اطلاع أو جهل في لغة أو غرض غير سليم ، ومن الأدلة على ذلك ما يأتي :

- سعة العربية وعدم القدرة على استيعاب كل أصولها ، وقديماً حسمها الإمام الشافعي حين قال : إنّ اللغة لا يحيط بها الاّ نبي [50] ، فقد صَعُبَ حصر ألفاظها ، فتبيّن مدى ثرائها وغناها ووفرة كلماتها ، وجلّه غير مستعمل ، وهذا يدلّل على قلة حاجاتها الى ألفاظ غيرها من اللغات الأجنبية الأخرى .

ولو قارنّا ثراء العربية مع أخواتها الساميات (الجزريات) لوجدنا فارقاً يفوق التّصور في أصولها اللغوية وبنائها وتراكيبها ، يقول بنيامين حدّاد عضو هيأة اللغة السريانية في المجمع العلمي في العراق : (هناك إحصائية تقول: إنّ عدد الأصول اللغوية التي تقوم عليها اللغة السريانية تبلغ (1806) أصلاً لغوياً ، في حين أنّ عدد الأصول اللغوية في العربية يبلغ (8220) أصلاً لغوياً، أي بفارق (5414) أصلاً لغوياً كان المفروض أن يحويها المعجم السرياني أيضاً أسوة بمعجم اللغة العربية) [51]، فهذا الفارق يمثل أكثر من ضِعفَي أصول اللغة السريانية ، وهذا يدلّ على غنى العربية وافتقار غيرها إليها ، وقوله : (كان المفروض أن يحويها المعجم السرياني أيضاً أسوة بمعجم اللغة العربية) يعني بلا أدنى شك أنّ أصول اللغتين واحدة ، فهي تشترك بها جميعاً ، وكلّ لغة تستعمل هذه الأصول بما يناسبها ومستعمليها ، ولهذا فانّه لا غرابــة في أن نجد لفظة عربية يقابلها لفظة سريانية أو من أية لغة من اللغات الساميــة (الجزرية) الأخرى .

وكذلك نجد ألفاظاً مشتقة في السريانية مثلاً لا أصل لها فيها إذ أنّها (ألفاظ مشتقة تعدّ بالعشرات ترِدُ في المعجم السرياني يتيمة لا وجود لأصولها الأولى في حين نلقي تلك الأصول في المعجم العربي وغيره من معاجم اللغات الشقيقة الأخرى بكامل اشتقاقها) [52] ، وهذا مما يبيّن حيويتها وطول بقائها واستمرارها بكامل قواها وقدراتها على مواجهة التحديات . يقول اقلميس يوسف داود : (أشهر اللغات السامية هي العربية والعبرية والسريانية والحبشية) ويضيف أيضاً: (وإنّما ذكرت العربية أولاً بين اللغات السامية ؛ لأن العربية باعتراف المحققين هي أقدم اللغات السامية وأغناهن ، ومعرفتها لازمة لكل من يريد أن يتقن حسناً معرفة سائر اللغات السامية ولاسيما السريانية) [53] ، ولعلّ السبب في ذلك أنّ صلة العربية باللغة الأم هي التي حفظت لها أغلب خواصها ، يقول نولدكه : (توجد في لغة العرب المميزات الخالصة للساميات ، كما أنّ لغتهم أقرب دائماً من اللغات الأخرى الى السامية الأولى)[54] وقد أثّرت العربية كثيراً في السريانية لا العكس فضلاً عن اللغات الأخرى ، يقول إسرائيل ولفنسون : (على أنّ تأثير اللغة العربية فيها كبير جداً حتى أنّ كلمات واصطلاحات كثيرة فيها عربية بحتة ، ويوجد فيها جملة كلمات من الفارسية والتركية وبعض اللغات الأوربية)[55] وهذا يوميء الى ضَعْف حصون السريانية مقابل العربية وإلّا لما قبلت كل هذه الخروقات اللغوية ، وهذا ممّا يشير الى ضَعْف احتمال تأثّر العربية بها في أيّ حال من الأحوال .

ولم يقتصر تفوّق العربية على السريانية فقط ، بل تعدّاها الى بقية اللغات السامية (الجزرية) فهي أغنى من اللغة الأكدية في مفرداتها إذ إنّ (للعربية مفردات أكثر من الأكدية وأقرب من معانيها للموطن الأصلي للعاربة ، كما أنّها أكثر ثراءً في التعابير والصور البلاغية) [56] ، وهي كذلك أغنى منها أصواتاً (حيث يبلغ عدد الحروف العربية الجنوبية تسعة وعشرين حرفاً ، بينما فقدت الأكدية حروف الحلق وبقيت الهمزة والخاء والثاء والذال والضاد والظاء ، كما فقدت الواو والياء الصحيحين في الحشو والآخر[57] ، وهي كذلك في معرض الغنى أوفر حظاً من الأكدية في التراكيب والمشتقات للأسماء والأفعال وهي أكثر تنوّعاً في ضروب استعمال الصفات والظروف والحال والتمييز والبدل والاستثناء والمفعول المطلق والمفعول معه والمفعول لأجله والنفي والكثير من الأدوات والإضافة بأنواعها والمدح والذم وغيرها[58] وربّما كان هذا الرأي قد ذهب إليه المستشرقان الألمانيان نولدكه وبروكلمان في كثير من المواضيع التي ذكرا بها اللغة العربية وأخواتها الجزرية ، غير أنّ العربية احتفظت بأكثر تلك القضايا من دون غيرها . قال نولدكه : (حقاً لقد احتفظت العربية أكثر من أخواتها بكثير من الصور الصادقة لعناصر اللغة الأولى ، مثل الكمية الأصلية تقريباً من الأصوات الساكنة وكذلك الحركات القصيرة في المقاطع المفتوحة ، ولاسيما في ربط الكلمات وأيضاً الفروق النحوية الكثيرة التي أفسدت ـــ إن قليلاً أو كثيراً ـــ في اللغات السامية الأخرى)[59] ، في حين دّل بروكلمان على سعة العربية من خلال الوفرة في الصيغ حيث قال : (وتمتاز هذه اللغة الشعرية[60] ـــ أي اللغة العربية ـــ بالوفرة الهائلة في الصيغ ، كما تدّل بوحدة طريقتها في تكوين الجملة على وجه من التطوّر أعلى منها في اللغات السامية الأخرى ، هذا الى أنّ مفرداتها تفوق الحصر)[61] .

هذه الأمور تؤكد سعة العربية وغناها وقلّة حاجتها الى الاقتراض من أخواتها أو غيرها من اللغات الأخرى كالفارسية والهندية ؛ لأنّ الحاجة وليدة الفقر وضعف الوسيلة ، وهذا لا وجود له في العربية .

- **الأصل المشترك للغات السامية :**

يكاد يُجمع أكثر علماء الآثار واللغات ممّن اهتموا بدراسة حضارة وادي الرافدين على وجود أواصر مشتركة بين اللغات التي عاشت في العراق ، فقد هاجر سكان وادي الرافدين من المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب ومن ضمنها اليمن ، إذ نزحت من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حلّ بها في أعقاب الدورة الجليدية الرابعة ، وقد توجّهت هذه القبائل الى شمال جزيرة العرب ومنها توزّعوا في العراق وبلاد الشام المسمى بـ (الهلال الخصيب) ، وكوّنوا حضارتهم فيها[62] ، وقد أشار الدكتور أحمد سوسة الى سكن الساميين بقوله : (قد دخلوا العراق من الجهة الشمالية الغربية ثم امتدت حشودهم جنوباً سالكين طريق الفرات حتى بلغوا مدينة كيش في بابل فتجمعوا فيها)[63] ، أما الساميون الغربيون (الأراميون) فقد انحدروا من سورية الى وادي الرافدين ، وهم بطبيعة الحال عرب منبعهم الأصلي جزيرة العرب ، فسواء أجاءوا من شمال العراق أم من شرق الجزيرة العربية فهم في كلتا الحالتين عرب ساميون[64] .

ويَعُدّ بروكلمان أنّ الجزيرة العربية هي مهد الشعب السامي الأول ، وأنّ اللغات التي ظهرت فيها بعد هجرة الأقوام السامية ما هي إلاّ لهجات للغة الجزرية الأم ، غير أنّ خصائص لغاتهم لم تظهر واضحةً إلاّ في وقت متأخر بعد انفصالها عن بعضها [65].

ومن اللغات الجزرية أيضاً اللغة الأكدية وقد انتشرت في بادئ الأمر في وادي الرافدين(فهي تنتمي الى ذات الأصل الذي تنتمي اليه اللغة العربية والأرامية والسريانية ، لذا أنّ الشبه بينها وبين هذه اللغات كبير وواضح) [66] ، وأنّه من المعلوم أنّ اللغة الأكدية هي أقدم اللغات في العراق وقد سبقت اللغة السومرية في القدم ، وأنّها (تشمل جميع لهجات هذه اللغة وهي الأكدية والبابلية والاشورية بمراحلها المختلفة حتى سقوط نينوى سنة 612 ق. م ، وسقوط بابل سنة 539 ق. م ، وقد تواصل تدوين هذة اللغة حتى بعد هذا التاريخ الأخير بعض الزمن ، وتؤرّخ أقدم النصوص الأكدية افتراضاً بنحو 3500 ق. م على أقل تقدير وواقعاً بنحو 2500 ق. م)[67] .

وكذلك الحال بالنسبة للغة الأرامية فهي تشمل مجموعة من اللهجات التي انتشرت في بلاد الشام وشمال العراق وتؤرخ الكتابات الأرامية الأولى بالمائة التاسعة ق.م ، وكان يتحدث بها في شمال العراق والبطائح والمناطق المتاخمة لإيران من جنوب العراق في لهجة الصابئة المندائيين[68] .

وأمّا السريانية فهي أصلاً لهجة مدينة الرها ، وكانت تحتل مركزاً وسطاً بين اللهجات الشرقية والغربية ، وهي أغنى اللهجات الأرامية ألفاظاً وأدباً وتراثاً[69] ، وأنّ مفرداتها بشكل خاص والأرامية بشكل عام ، ما هي إلاّ مفردات عربية ، لكنها تنطق بشكل مغاير لما استقرت عليه العربية[70] .

ولا تُستَبعَد العبرية عن هذا التغيير إذ أصابها ما أصاب بقية لغات المجموعة السامية ، فالعبرانيون كانوا يستعملون اللغة العبرية منذ بداية الألف الأولى ق.م ، وهي إحدى اللهجات الكنعانية ثم بدأ تأثرهم بالأرامية حتى أصبحت لغتهم منذ المائة السادسة ق.م ، وازداد التأثير باطّراد بعد ذلك في الأسرِ البابلي حتى انحسرت وأصبحت لغة طقوس محدودة الأثر ، وكُتِبَ أكثر التلمود بالأرامية وبعض أسفار العهد القديم[71] .

إذاً ، ليس من الغريب أن نجد ألفاظاً مشتركة بين هذه اللغات لِما لها من وشائج مشتركة الأصول ، من حيث الصوت أو الرّنة أو المعنى والدلالة ، لذا علينا أن نتدبّر في القول قبل الحكم على شيء من ذلك ، يقول إسرائيل ولفنسون : (يجب أن لا يبالغ الباحث في مسألة الأرامية والعبرية في العربية الشمالية ، إذ ينبغي أن يحترس من الخطأ في نسبة بعض الكلمات العربية الى أخواتها السامية ظناً منه أنّها منقولة منها ، فقد يوجد عدد كبير من الألفاظ لها رنّة أرامية أو عبرية وهو في الواقع يُستعمل عند العرب قبل أن يحدث الاتصال بين هذه اللغات)[72] ، لذلك نرى بعض المستشرقين قد أكد هذه القضية ، إذ توهم كثيرٌ منهم نسبة بعض الألفاظ العربية الى غيرها من الجزريات مع أنها مشتركة بينها ، ويورد لنا نولدكة منها لفظة " الليث " حيث يقول : (يكاد يختفي أمام أعيننا اللفظ المشترك في اللغات العبرية والأرامية والعربية ، وهو لفظ " الليث " ليفسح الطريق للفظ آخر)[73] .

إنّ هذا الاختلاط والتقارب بين المجموعة السامية (الجزرية) خَلَقَ وشائج صلة قوية بينها ، ولا تكاد تخلو لغة أو لهجة من هذه اللهجات إلاّ وبها من أختها بعض الألفاظ ، وذلك بسبب الأصل الذي ولدت منه هذه اللغات ، وأنّ أيَّ شبه بين ألفاظها لا يعني أنّ هذه اللغة اقترضت من تلك ، بل يوحي الى وحدة الأصل اللغوي لهذه الألفاظ فتشابهت بُناها وأصواتها وإن اختلفت بعض دلالتها بسبب الاستعمال وظروف المستعمل .

لذا عند اقتراب الألفاظ من بعضها لا يعني أنّها أعجمية وعُرّبت الى لغتنا ، وبذلك يمكن القول إنّ ما نُسِبَ من ألفاظ سريانية أو عبرية أو أرامية الى القرآن الكريم ، ماهي إلاّ ألفاظ عربية ، قد اشتركت في الأصل اللغوي مع أخواتها الساميات ، وهذا ممّا ينفي عجمة هذه الألفاظ في القرآن الكريم ، فمثلاً لفظة (القرية) ، ففي العربية تعني الضيعة والمصر، والقريتان في قوله تعالى : (رجلٌ في القريتين عظيم)[74] مكة والطائف ، وهي في السريانية (قريتا) وهي المدينة أو القرية ، وفي العبرية (قِريا) : المدينة العظيمة المحصنة ، وفي العبرية الحديثة تطلق على ضاحية البلدة[75] .

هذه الألفاظ قد اقتربت أصواتها وبنيتها وكذلك دلالاتها العامة ، وهذا ما يؤيّد ما نذهب اليه من وحدة أصل هذه الألفاظ ، بيد أنّ الاستعمال قد غير بعضاً من ملامحها سواء أكان في الدلالة أو التركيب أو الصوت ، وهذا يقرّه الواقع اللغوي إذ لا غرابة في ذلك ، وحينها فلا يعني أنّ العربية قد أخذت هذه الألفاظ من السريانية أو العبرية أو بالعكس .

بيد أنّ بعض المستشرقين لم يؤمن بذلك بل يؤكد عجمة مثل هذه الألفاظ المشتركة بين اللغات الجزرية ، منهم مينغانا ، إذ نجده ينسب بعض هذه المفردات الى غير العربية وقد أغفل الأصل المشترك ، إلاّ أنّنا وجدناه مرة ينسبها الى الجزريات وفي أخرى إلى الفارسية من نحو " أبا " و " مقاليد " ، و " استبرق " وغيرها[76] ، فوقع في وحل التناقض ووُجِد يخلط في نسبة ألفاظ أخرى بين السريانية والعبرية من نحو " صدّيق " ، أو أنّها بين السريانية والرومانية من نحو " دينار " و " قرطاس " و " قنطار " و " قسطاس " و " سندس " وغيرها [77] ، ولو راجع الأصول المشتركة لاهتدى الى حقيقة هذه الألفاظ وعروبتها ، غير أنّ الأهداف المسبقة في البحث عنده وخاصة ما يتعلق منها بالقرآن الكريم تؤدي الى هذه النتائج غير الحقيقية .

- لا يوجد رأي قاطع بعجمة كثير من الألفاظ التي ظُنَّ أنّها معرّبة عن اللغات الأخرى ، ولم نجد من يقطع بأصالة تلك الألفاظ في اللغات المنسوبة إليها ، بل إنّ الباحثين يترددون في أصلها ، وقد يقولون بأكثر من أصل للمفردة الواحدة ـــ كما اتضح قبل قليل ـــ وإنّ تقريراتهم في ذلك احتمالية ، لا ترقى الى الحقيقة القاطعة ، يقول براجستراسر : (وكثير ما يصعب استنتاج أصل الكلمات التي تحوّلت من لغة الى أخرى ، وطريق تحولاتها ، مثال ذلك (البلور) ، فنجد هذه الكلمة في لغات متعددة ، حتى الهندية ، ولا يظهر أصلها وطريق شيوعها)[78] ، ثم يُورد مجموعة من ألفاظ على أنّها غير عربية واستعملتها لغة العرب ، غير أنّه في نهاية حديثه يقول : (وكل هذا يحتاج الى ملاحظة ، فإذا وجدنا كلمة عربية تساوي كلمة غير سامية ، فارسية مثلاً ، فلا بّد من كونها دخيلة في إحدى اللغتين ، فأخذتها العربية عن الفارسية أو بالعكس ، أو تكون دخيلة في كلتيهما فأخذناها من لغة ثالثة ، وإذا ساوت كلمة عربية كلمة سامية ، حبشية أو أرامية أو غير ذلك فالأقرب إلى الاحتمال أنّ الكلمة سامية أصلية أو خاصة بفرقة من اللغات السامية فورثتها كلتا اللغتين الأختين من أمهما)[79] .

هذا الاحتمال وارد في هذه التحقيقات اللغوية ، إذ إنّ تقرير أصالة اللفظة المحتمل عجمتها خاضع للاحتمال ، ولا يرقى الى الدقة المطلوبة في تثبيت الأصل اللغوي للمفردات المشتبه في عجمتها ، فمثلاً نجد نولدكه قد وافق المستشرق (أ . غايغر) في أصل لفظة " مثاني " إذ طرح نولدكه معاني عدة لها من قبل غيره من المستشرقين ولم يوافقهم في دلالتها على الآيات أو العادات ؛ ذلك لأنّه كان يرى عدم وضوح معناها في الآيات الواردة لكنه وجد توافقاً مع ما ذهب اليه (أ . غايغر) بقوله : (لكنّ الاعتقاد الذي يذكره " أ . غايغر " يبدو صالحاً للقبول أكثر من تلك المعاني ، فالكلمة تتصل برأيه بالكلمة اليهودية " مِشْنا" والأفضل القول بالكلمة اليهودية الأرامية " مَثْنيثوُ " بمعنى التقليد ، ويمكن أن يكون هذا المعنى هو المقصود في سورة " الحجر 15 / 87"[80])[81] ، فهنا وضَعَنا نولدكه مرة أخرى في التخمين والاحتمال من دون أن يُعطي رأياً قاطعاً بذلك أو مستنداً على دليل علمي واضح .

ومما يزيد الاحتمال في عدم القطع بأصالة المفردات المهاجرة بين اللغات ، أنّ هذه الألفاظ وغيرها وخاصة ما ورد منها في الشعر الجاهلي وفي معاجم العربية أو في القرآن الكريم ، أنّها لا ترجع من الناحية الاشتقاقية التأريخية الى مرحلة واحدة (ففيها ألفاظ مغرقة في القدم وفيها ألفاظ أحدث عهداً ، ويمكن عدّ الألفاظ المشتركة في اللغات السامية عموماً أو المشتركة بين العربية والأكدية بصفة خاصة من ذلك التراث اللغوي الذي عرفته السامية الأم ، أمّا الكلمات التي لا نجد لها مقابلاً اشتقاقياً في اللغات

السامية فهذه دخلت العربية أو كوّنتها العربية في الفترة ما بين الهجرات)[82] ، فهي قديمة قِدم العربية وقد تواضع عليها مستعملوها في العصور البائدة .

هذا الرأي الأخير أصلاً لم يقم على أساس علمي وإنّما جاء على وفق تصورات ومقارنات لا يمكن التثبُّت من صحتها ، إذ إنّ أغلب هذه الأحكام مبينة على الحدس والتخمين بسبب بُعدِ الشقّة ، وهذا يُعطي مسوغاً قوياً لنفي عجمة أغلب ما ورد من الألفاظ التي قيل عنها أعجمية ، وخاصة ما كان منها في القرآن الكريم .

- امتياز العربية ببطء التغيير فيها ؛ لكونه مرتبطة بالقرآن الكريم النص السماوي الخالد، فلا نجد اختلافاً واضحاً بين عربية العصر الجاهلي والعصور التي تلته ، وإنّنا إلى هذا اليوم نقرأ الشعر الجاهلي ونفهم معانيه ، وكذلك الكتب المؤلفة منذ أكثر من ألف عام فيما لا يستطيع الانجليزي اليوم أن يقرأ اللغة الانجليزية في القرن الثامن عشر بسبب شدة التغيّر .

هذا الثبات النسبي في العربية يكسبها قوة وشدة في مواجهة الهجمات الشرسة ، فحافظت على أصالة مفرداتها وتراكيبها على مر الأزمان والعصور ، وأنّ ما وقع فيها من تغيير كان بسبب من الاحتكاك بغيرها إلاّ أنّه كان ضئيلاً جداً ، يقول نولدكه : (لكنّ هذا التأثير لا يمكن أنّ يشترك في ذلك إلاّ بقدرٍ ضئيل جداً)[83] ، لذلك نجد أنّ اللغة العربية عندما تحُلّ في مكان ما سرعان ما تتقهقر أمامها اللغات الأخرى ، وخاصة الجزريةّ منها ، فقد اضطرت الأرامية أن تهرب أمام زحف العربية أبان الفتوح الإسلامية في القرن السابع الميلادي ثم اختفت أمامها في قرون متعددة ، وكذلك اللغة السريانية[84] .

بعد هذه الجولة السريعة ، لا يخفى على أحد أنّ القول بوقوع المعرّب في القرآن الكريم قد سقطت أركانه وبان الخطل فيه ، إذ لا توجد فيه ألفاظ غير عربية ، وقبلها دليلنا الأصدق في إحدى عشرة آية أنّه قرآن عربي ولسان عربي وحكم عربي ، يقول الدكتور علي كاظم أسد: (ما استعمله القرآن من اللغة العربية فهو مرصود وهو ما تكلم به العرب إلاّ بعض المفردات التي صاغها القرآن أو أرجعها ـــ في رأيي ـــ من اللغات الأخرى وهي عربية الأصل اخذتها اللغات الأخرى من العربية وليست بأعجمية هي . وأمّا الذي يقول بأعجمية بعض مفردات القرآن فهو الذي يحتاج الى دليل)[85] .

إنّ استرجاع هذه الألفاظ تشكّل معلماً إعجازياً للقرآن الكريم وإنّ على علماء اللغة أن يُضيفوها الى خزين اللغة الآبق منها[86] .

إنّ عروبة ألفاظ القرآن الكريم تشكّل إعجازاً ، إذ لو كان فيه غير العربية لاحتجَّ العرب على النبي " صلى الله عليه واله وسلم " وهم أهل فصاحة وبيان وكان الأولى أن يقولوا كلمتهم ؛ لأنّه جاء بغير كلامهم ، وهذا ـــ كما نعلم ـــ لم يحصل ، إذ إنّ وجود الأعجمي في القرآن الكريم يُعدُّ خرقاً للإعجاز ؛ لأنّ الحجة ستقوم على النبي " صلى الله عليه واله وسلم " بأنّه خالٍ من الفصاحة والبيان ، لذا سلك علماء إعجاز القرآن مسلك المدافع عن عروبة ألفاظه وبيان معانيه ، فقد كان الخطّابي (ت 388هـ) يدور حول عدم وجود المعرّب في القرآن ، وذلك عندما استشهد بأقوال العلماء على سعة العربية وعدم القدرة على الإحاطة بها فقال : (وقد قال بعض العلماء في الأسماء اللغوية وهي نوع واحد من الأنواع الثلاثة التي شرطنا أنّه لا يجوز أن يُحيط بها كلها إلاّ نبي)[87] ، وهذه السعة في لغة القرآن تمثّل عنده إعجازاً للبشر من حيث الإحاطة بها وفهمها ، إلاّ من قِبَلِ نبي ، وهذا تفضيل للغة العرب على غيرها من اللغات ، قال القاضي أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ) : (وإنّما فُضّلَت العربية على غيرها لاعتدالها في الوضع ، لذلك وضع أصلها على أنّ أكثرها هو بالحروف المعتدلة ، فقد أهملوا الألفاظ المستكرهة في نظمها وأسقطوها من كلامهم وجعلوا عامة لسانهم على الأعدل)[88] ، فيما تكون اللغات الأعجمية غير متّسقة في حروفها ومبانيها كالعربية ، إذ جمعت الاعذبَ والأعدل من ألفاظها وأصواتها في كلماتها ، فخالفت لغة القرآن كلّ اللغات ، قال الطبرسي (ت 548 هـ) في قوله تعالى : (قرآناً عربيّاً)[89] : (وصَفَهُ بأنه قرآن لأنّه جمع بعضه الى بعض ، وبأنّه عربيّ ، لأنّه يخالف جميع اللغات التي ليست بعربية ، وكلّ ذلك يدّل على حدوث القرآن ، (لقوم يعلمون)[90]، اللسان العربي ويعجزون عن مثله ، فيعرفون إعجازه)[91] .

لم يفترق من علماء الإعجاز المتقدمين في نفي العجمة عن بعض مفردات القرآن كما علمنا من قبل .

رابعاً/ الشبهة المتعلقة حول عدم إعراب القران الكريم :

لم يخفَ على أحدٍ من القدماء أو شكَّ في كون القرآن الكريم نزل معرباً ولا نعرف منهم من قال بذلك ، بل المعروف أنّ لغة القرآن قد اقترنت بالإعراب ، وأنّه كان سمة من سمات العربية قبل نزول القرآن الكريم ، وقد أخذته من أصلها الجزري كما يذهب الى ذلك كثيرٌ من المستشرقين إذ (احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرّف الإعرابي بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية – باستثناء البابلية القديمة – قبل عصر نموّها وازدهارها الأدبي)[92] ، وكانت قريش حاضرة الفصاحة إذ لم يُدنِّس لسانها عجمة أو عادة لغوية مذمومة ممّا علق بباقي لغات أو لهجات القبائل العربية الأخرى التي ابتعدت عن قريش أو خالطت الأعاجم ممّن كان يسكن جوار الفرس أو الروم أو الأحباش .

كما لم نسمع منهم من أخطأ في نطق أو إعراب كما سمعنا ذلك من غيرهم من القبائل العربية ، وقد روي أنّ سبب وضع الإمام عليّ (عليه السلام) النحو ، أنّه سمع أعرابياً يقرأ : " لا يأكله إلاّ الخاطئين " ، فوضع النحو ، ويُروى أيضاً أن قدِم أعرابي على عمر ابن الخطاب في أثناء خلافته ، وطلب مَن يُقرِأهُ القرآنَ فأقرأه قارئ من سورة براءة ، فقال : " إنّ اللهَ بريء من المشركين ورسولِه " بالخفض ، فقال الأعرابي : " أوَ قد برأ اللهُ تعالى من رسوله ؟! إن يكن اللهُ تعالى بريء من رسوله فأنا أبرأ

منه " .... الى آخر القصة [93] وغيرها من القصص التي تروى في ذلك (والتي إذا حامت الشكوك حول صحتها فأنّ دلالتها على وجود الإعراب لا يتطرق إليه الشك)[94] .

إنّ ما ظهر من هذه الأخطاء في قراءة القرآن ربّما هو الذي أخذ بأيدي بعض المستشرقين الى القول إنّ القرآن كان بلغة عوام قريش ثم نقّحه العلماءُ بعد ذلك ، ولم يلتفتوا إلى أنّ الخطأ هنا وارد فليس كلّ من يقرأ القرآن أو يحفظ بعض سُوَره يكون في مأمن من السهو والغفلة أو الخطأ في نطق لفظة أو عبارة أو نسيان حركة.

فقد جاء في القرآن أكثر من آية تصفه بالبيان والفصاحة ، قال تعالى : **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)**[95] وقوله سبحانه : **(وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)**[96] وغيرها .

وقد يتوهّم بعض المستشرقين في نسبة عدم إعراب القرآن الى إسكان الحركات في حال الوقف ، إذ تُسكّن فيه آخر الكلمات عند القراءة وهو من سُنن كلام العرب إذ لا يقف العربي على متحرك ولا يبتدأ بساكن ، فلمّا لم يجد المستشرقون حركات أواخر الكلمات عند الوقف أو الفاصلة ظنّوا أنّ القرآن غير مُعرَب فنسبوا عدم الإعراب إليه ، غير أنّ نولدكه قد تنبّه الى هذه القضية وعزاها إلى هجرة الأعداد الكبيرة من العرب الخارجين من الجزيرة العربية الذين أصبحوا لا ينطقون حركات الإعراب في آخر الكلمة ممّا ضيّع ميزة كبرى للغة العربية ، وأنّ سقوط مثل هذه الحركات لا يكون إلاّ في أواخر الكلمات عند الوقف فقط [97] ، ولم يعزُ مثل هذه المسألة الى عدم الإعراب في القرآن أصلاً .

ثم إنّا علمنا أنّ النبي محمد " صلى الله عليه وآله " كان يشجّع على تعلّم القراءة والكتابة ، وقد جعل فداء أسرى قريش في معركة بدر أنّ يعلّم كل أسير منهم مجموعة من المسلمين القراءة والكتابة ، لأجل طلب العلم وتقييده ، وقد أكّد هذا الحال من الدعوة الى التعلم المستشرق أوجست اشبرنجر A.sprenger ، في مقالٍ له[98] ، ولذلك يمكن القول إن الكتابة لم تُعد غير موجودة في جزيرة العرب ، بل كانت موضع تداول لكن ليست بكثرة ، ربّما كان بسبب قلة مواد الكتابة والنقش لذلك ذهب المستشرق ف . كرنكوف الى القول (في وسعنا أن نتحقق من أنّ الكتابة لم تكُن شيئاً نادراً في بلاد العرب كما يفترض عامة ، ذلك أنّنا حين نقرأ أشعار الشعراء التي وصلت إلينا فأننا نجد فيها مراراً إشاراتٍ الى الكتابة)[99] ، ثم يُورد أمثلة على ذلك ممّا قاله بعض الشعراء العرب من نحو الرجاز أبي النجم والشاعر أبي دؤاد الكلبي وقيس ابن الحطيم وامرئ القيس وغيرهم [100] .

لعلّ السبب الآخر في توّهم عدم الاعراب في القرآن الكريم يعود الى الكتابة نفسها التي وردت من عصر النبوة حين كان كُتاب النبي محمد (صلى الله عليه وآله) يكتبون ما يُتلى عليه (صلى الله عليه وآله) من القرآن ، وكانت العادة في الكتابة عدم شَكْل الحركات والنقط ، وهذا الأمر سبّب في كثير من الأحيان ظهور القراءات القرآنية وتعدّدها إذ اجتهد بعض القراء في ذلك فقرأوا بما اجتهدوا به حتى ظهر الفرق كبيراً بينها وبين القرآن الكريم ،لذا عدّ الزركشي (ت 794هـ) أنّ القرآن الكريم والقراءات القرآنية حقيقتان متغايرتان[101].

ثم لمّا أُشْكِلت الحروف العربية بالنقط والحركات بمبادرة من الخليل بن احمد الفراهيدي حُفِظت العربية من وقوع اللبس والوهم ، ثم ظهر القرآن الكريم بعدها مشكّلاً ، تبادر الى أذهان بعض المستشرقين أنّ القرآن كان غير مُعرَب ، لكنْ هناك فرق بين الشَكْل والإعراب .

ولعلّ ما ذهب إليه المستشرق فولرز من أنّ القرآن الكريم نزل أول الأمر بلهجة مكة المجردة من حركات الإعراب كان يندرج تحت هذه الإشكالات المذكورة ولمّا ظهر الشَّكْل لحركات الحروف ونقاطها توهّم أنّه كان غير مُعرَب ثم نقّحه العلماء على ما ارتضوه من قواعد ومقاييس حتى أضحى بهذا المستوى الرفيع من البيان العذب واللغة الصافية وغدا في الفصاحة مضرب الأمثال [102] .

يُضيف المستشرق يوهان فك حالة أخرى توهّم من خلالها المستشرقون بعدم إعراب القرآن ، ما ظهر في لهجة مكة من تسهيل الهمز المخالفة لرسم المصحف الشريف الذي جاء بتحقيقها [103] ، وهو مخالف لما عليه أهل مكة ومن حواليها الذين نزل القرآن بلغتهم فضلاً عن مخالفة بعض القواعد النحوية المروية عن لهجات العرب بلغة قريش .

غير أنّ نولدكه قد خالف فولرز ، وكفانا مؤونة الرد على هذا الرأي الذي ابتعد عن الحقيقة أيّما ابتعاد ، إذ لم يستند فيه الى منهج صحيح يوضح السبب الذي أخذ بيده إليه [104] .

وتوهم أيضاً المستشرق " كاله " في مقالته عن القرآن والعربية في الكتاب التذكاري لتكريم المستشرق " كول زيهير " إذ أورد عدداً من النصوص والروايات التي تحثّ المسلمين على ضرورة مراعاة الإعراب عند قراءة القرآن وترتيله ، فظنّ أنّ مثل هذه الدعوة توحي الى عدم إعرابه ، وقد رُدَّ عليه بما يناسب المقال ، إذ يقول محقّق كتاب " العربية " يوهان فك : (نعم لا تدلّ هذه الروايات على أنّ القرآن في حياة محمد قُرِيء في أوساط المسلمين دون إعراب – وقد عرف النقاد المسلمون أنّها موضوعة مزيّفة وأبقوها بعيدة عن المصاحف المعتمدة – ولكنّها تدلّ على أنّ ترك الإعراب قد حصل في وقت متأخر)[105] ، بسبب من اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم وتسرّب العجمة الى لسان بعضهم ممّا أوقعهم في خطأ التلفظ أو خطأ الإعراب ، كان ذلك مدعاة للعلماء المسلمين – خاصة أهل اللغة منهم – الى ضرورة الحفاظ على العربية وتنقيتها ممّا علق فيها حفظاً للقرآن الكريم .

إذن ، هذه الدعوة الى مكافحة العجمة لا تحمل في طياتها شبهة عدم إعراب القرآن بقدر ما كانت دعوة الى صيانته وحفظه ممّا دنَّس لسان العرب أو علق به من غير لغتهم ، وقد تنبّه على ذلك المستشرق يوهان فك ، فكان يرى أنّ العجمة قد شابت كثيراً من قواعد اللغة العربية في القرن الأول الهجري بسبب دخول الأعاجم والموالي إلى البيوت العربية بشكل جواري وزوجات وغلمان وخدم ، فظهرت الألفاظ الأعجمية في أشعار بعض الشعراء من نحو ذي الرمة والطرماح والكميت وغيرهم ، حتى طالت الطبقة العليا من العرب المحافظة على العربية ، ونتيجة لذلك ظهرت حركة " التنقية اللغوية " (التي كانت تلحّ باطراد في تطهير اللغة وتخليصها ، وطموح المسلمين الجُدد البعيدي الهمة إلى امتلاك ناصية العربية بجميع دقائقها وأسرارها ، كلّ ذلك أوجد دافعا ـــ في نهاية القرن الأول ـــ الى دراسة القواعد التي كانت تجعل نصب عينها ـــ في أغلب الظن ـــ كما هي الغاية العملية في تحديد الاستعمال اللغوي بصورة أساسية)[106] ، فكُشِف عن كثير من المخالفات النحوية للهجات القبائل العربية المغايرة للقاعدة القرآنية التي توحي الى أنّ القرآن كان في الأصل مُعرَباً ، وأنّ هذه المخالفات له تدل على مخالفة قواعد لغة قريش عن قواعد اللهجات الأخرى ، وهذا يدلّل على وجود الإعراب قبل البعثة النبوية المباركة وبعدها .

إنّ العربية قد احتفظت بالحركات الإعرابية عن اللغة السامية الأولى ، وقد جاء من التحقيق العلمي أنّ اللغة التي انتشرت في المملكة البابلية وهي أم اللغات السامية كانت ذات حركات إعرابية[107] .

وعلّل اسرائيل ولفنسون ظاهرة الإعراب في السامية الأم ، واللغة العربية خاصة بقوله : (ليس في اللغات السامية أثر لإدغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنتان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هي الحال في غير اللغات السامية ، وهذا هو سبب ظهور الإعراب في اللغة العربية)[108]، بمعنى رفع اللبس والابهام والغموض الناتج عن امتزاج الألفاظ ببعضها ، فكان فكّ الإدغام والتعويض عنه بالحركات الإعرابية وسيلة مهمة في إيجاد الانسجام والتجانس بين الألفاظ المتجاورة في نصّ واحد ، وهذا ممّا يدعو الى الخفّة في نطق الأصوات وسهولتها وانسجام الكلام بها ، لذا كان يرى بعض النحاة أنّ العمل بالرفع والنصب والجر والجزم إنّما هو من فعل المتكلم نفسه [109]، ويداور بينها مسايرة للعُرف الاجتماعي الذي نشأ نتيجة لمؤثرات شتى أهمها الحالة النفسية والانسجام الموسيقي في الحركات والحروف والألفاظ والجمل)[110].

فضلاً عن ذلك ، أنّ بعض النحاة القدماء مَنْ ألمح الى ذلك عندما أشار الى انسجام الألفاظ مع بعضها لطلب السهولة في الكلام والانتقال من لفظ لآخر ، منهم الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 170 هـ) عندما قال : (إنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد يلحقن الحرف ليُوصل الى التكلم به)[111] ، وتابعه قطرب (ت 206هـ) من القدامى ، وابراهيم أنيس من المحدثين ، إذ ذكر الزجاجي (ت 340 ه) عن قطرب قوله : (وإنما أعربت العربُ كلامها لأنّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون ، فلو جعل وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل ولكان يبطيء عند الإدراج ، فلما وصل العربُ كلامهم وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام ، ولم يلزموا حركة واحدة لئلا يُضيقوا على أنفسهم)[112] ، في حين جعل الدكتور ابراهيم أنيس للعامل الصوتي أثراً في وجود الحركات أي أنّ المتكلم لا يلجأ الى تحريك الكلمات والتخلص من التقاء الساكنين إلاّ لضرورة صوتية يتطلبها الوصل [113] ؛ لأنّ انتشار الأمية بين العرب جعل للسمع أهمية في اتصال الكلام عند طريق ربط الألفاظ ببعضها وهذا ممّا يؤدي الى ظهور الحركات في وصل الكلمات [114] .

ولّما كان حال العرب في نطق كلماتها واتصالها مع بعضها خاضعاً لسبب فسيولوجي وذوقي متمثل بسهولة نطق الأصوات وخفتها وانسجامها مع بعضها فكان لابُد من صناعة ذوق لغوي عربي موحّد بأفق موسيقي تستسيغه الأذن وتمجّ كلّ خطأ يخالف ذلك ، ولمّا كانت قريش أرقّ قبائل العرب ألسنة وأعلاها فصاحة وأعذبها لفظاً وقد نزل القرآن الكريم بها ، فلابُدّ أن تتمثل به صوتاً ونطقاً ودلالةً أي مُعْرَباً ، وأنّ القول بعدم إعرابه يُعارض الحقيقة التي نحن بصددها .

إذن ، نخلص الى نتيجة أنّ القرآن الكريم نزل بلغة عربية فصيحة مُعْرَباً ، وأنّ مقولة عدم إعرابه أو أنّه دُوِّن بلغة عوام الناس من قريش ثم أعربه النحاة فيما بعد ، لا يستند الى دليل واقعي ، وأنّ النحاة أنفسهم يذهبون الى صفاء لغة العرب آنذاك طلباً للانسجام الصوتي الذي تطوّر فيما بعد الى إعراب مقترن بالمعنى ، فضلاً عن أقوال المنصفين من المستشرقين الذين أكّدوا ظاهرة الانسجام الصوتي للغة العربية المتمثّل بالحركات الإعرابية التي تصنع الذائقة الصوتية في الكلام العربي .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة توصل الباحثان إلى قطف ثمار البحث اليانعة ، ويمكن إيجازها بما يأتي :

- غاب عن ذهن المستشرقين أن النص القرآني ليس نصاً بشرياً كي يسهل النيل منه أو تقليل قيمته ، بل هو نص سماوي أنزله الله تعالى وحفظه من كلّ ما من شأنه الإساءة إليه .
- لم يلتفت قسم من المستشرقين إلى أن الأسلوب القرآني يغاير أسلوب الكهان في استعمال الكلام المسجوع ؛ وذلك لأنّ المعاني في النص السماوي هي المهيمنة على الفاصلة القرآنية ، على حين أنّ المعنى في كلام الكهان يبقى رهين السجع ، ومتى ما ارتبط المعنى بالسجْع كانت إفادته لا تتعدى التنغيم المرتبط بهبوط نغماته وارتفاعها وتناغمها .

- غفل بعض المستشرقين أو تغافلوا أنّ اللغة العربية لها الإمكانية على توليد الألفاظ لكونها تعتمد نظاماً اشتقاقياً قادراً على استقدام المعاني الجديدة التي تتوافق مع حركة المجتمع وتطوره ، مثلما غفلوا أيضاً عن أنّ اللغة العربية لها القابلية على إنتاج معان جديدة اعتماداً على السياق .
- لم يلتفت طائفة من المستشرقين إلى ثراء اللغة العربية مقارنة بأخواتها الساميات من حيث كثرة أصولها اللغوية وبنائها وتراكيبها ، ولما كانت كذلك فلا حاجة بها إلى الاقتراض من باقي اللغات الجزرية
- أطلق جماعة من المستشرقين أحكاماً خاطئة بالنظر إلى بعض الحالات الفردية ، وهذا ما يتضح جلياً حينما وسموا القرآن الكريم بأنه نص غير معرب ، تأسيسا على أخطاء لغوية وقع فيها بعض الأعراب والأعاجم ، فقد غاب عنهم أن بوناً شاسعاً بين وجود القاعدة وبين عدم تطبيقها ، فعدم تطبيق الإعراب من قبل بعض المسلمين لا يعني إنكار وجود الإعراب .

المصادر

القرآن الكريم

1. الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – ضبطه وصحّحه وخرّج آياته محمد هاشم سالم – بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية –2003م.
2. الإسلام الأسس –كولين تيرنر – ترجمة نجوان نور الدين – مراجعة سعود المولى – الشركة العربية للأبحاث والنشر – بيروت – الطبعة الأولى – 2009 م .
3. الأصل المشترك للغات العراقية القديمة (ندوة) ـــ دائرة التراث العربي و الإسلامي ، فرع اللغات القديمة ـــ 18 شباط 1998م ـــ منشورات المجمع العلمي العراقي ـــ بغداد ـــ1419ه ـــ 1999م.
4. إعجاز القرآن ـــ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ـــ تحقيق السيد أحمد صقر ـــ دار المعارف ـــ القاهرة ـــ الطبعة الخامسة .
5. الأغاني ـــ أبو الفرج الأصفهاني ـــ بيروت ـــ لبنان ـــ 1959 م .
6. الإيضاح في علل النحو ـــ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي ـــ تحقيق مازن المبارك ـــ دار النفائس ـــ القاهرة ـــ بيروت .
7. البحث النحوي عند الاصوليين – د. مصطفى جمال الدين – الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة و الاعلام – دار الرشيد للنشر 1980م
8. بيان إعجاز القرآن/ أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – حقّقها وعلّق عليها محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر.
9. تأريخ القرآن – تيودور نولدكه – فريد ريش شفالي – نقله الى العربية و حققه جورج تامر- دار نشر جورج المز – هيلد سهايم – زوريج – نيويورك – بإذن دار نشر ومكتبة ديت ريش – فيسادن– 2000 م.
10. تأريخ اللغات السامية (إسرائيل ولفنستون) ـ القاهرة ـ 1929م .
11. تطور القرآن التأريخي – كانون سل – ترجمة مالك سلماني – لندن بريطانيا– الطبعة الرابعة – 1923م.
12. التضاد في ضوء اللغات السامية، دراسة مقارنة ـــ د.ربحي كمال ـــ دار النهضة العربية ـــ بيروت ـــ1975م
13. حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين _ د. أحمد سوسه _ الجمهورية العراقية - منشورات وزارة الأعلام _دار الرشيد _1980م.
14. دراسات في فقه اللغة/ د. صبحي الصالح – بيروت – دار العلم للملايين – الطبعة الثانية – 1968م.
15. التطور النحوي، برجستراسر- تحق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي - القاهرة-1982م.
16. دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي ـــ ترجمها عن الألمانية والانجليزية والفرنسية د. عبد الرحمن بدوي ـــ دار العلم للملايين ـــ بيروت ـــ الطبعة الثانية ـــ كانون الثاني ـــ 1986م .
17. دلائل الإعجاز/ عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني– قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر – القاهرة – مكتبة الخانجي – الطبعة الخامسة - 2004م.
18. دلالة الألفاظ ـــ د.ابراهيم أنيس ـــ الطبعة الثانية ـــ 1963 م .
19. الرسالة ـــ المطلبي محمد بن إدريس الشافعي ـــ تحقيق أحمد محمد شاكر ـــ مكتبة دار التراث ـــ القاهرة ـــ الطبعة الثالثة ـــــ 2005م.
20. رسائل الجاحظ – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام محمد هارون – الناشر مكتبة الخانجي بمصر – ط1 - 1979م.
21. الشعر والشعراء/ ابن قتيبة – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – القاهرة – دار المعارف.

22. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها/ أبو الحسن أحمد بن فارس – حقّقه وقدّم له مصطفى الشومي – بيروت – لبنان – مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر - 1963م.
23. فقه اللغات السامية ـ كارل بروكلمان ـ ترجمه عن الألمانية الدكتور رمضان عبد التواب ـ مطبوعات جامعة الرياض ـ 1397هـ _ 1977م .
24. فقة اللغات العاربة المقارن / مسائل وآراء _ خالد إسماعيل _أربد _2000م .
25. علم اللغة العربية – مدخل تأريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية/ د. محمود فهمي حجازي – القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – د.ت .
26. فلسفة المنصوبات في النحو العربي ـــــ أ. د. عائد كريم علوان الحريزي ـــــ العراق ـــــ 2008 م .

27. اللغات السامية ـ تيودور نولدكه ـ ترجمه عن الالمانية الدكتور رمضان ـ مكتبة دار النهضة ا لعربية ـ المطبعة الكمالية .
28. اللغة/ ج – فندريس – ترجمة – الدواخلي والقصّاص – القاهرة – مطبعة دار البيان.
29. اللغة العربية معناها ومبناها/ د. تمام حسّان – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1973م.
30. العواصم من القواصم ـــ أبو بكر بن العربي ـــ مطبعة البابي الحلبي ـــ القاهرة ـــ د . ت
31. في الأدب الجاهلي ـــ طه حسين ـــ دار المعارف ـــ القاهرة ـــ الطبعة التاسعة عشرة.
32. - محمد في مكة – و. مونتجمري وات – ترجمة عبد الرحمن الشيخ و حسين عيسى – د. احمد شلبي – الهيئة المصرية للكتاب – 2002 م .
33. مجمع البيان في علوم القرآن/أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي – صححه وحققه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاّتي – بيروت – دار إحياء التراث العربي – 1397هـ .
34. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ـ الدكتور مهدي المخزومي ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ 1986م .
35. المزهر في علوم اللغة وأنواعها/جلال الدين السيوطي – شرح وتعليق محمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي – صيدا – بيروت – المكتبة العصرية - 1987م.
36. المفسر ومستويات الاستعمال اللغوي ـــ د.علي كاظم أسد ـــ كلية الآداب جامعة الكوفة ـــ دار الضياء للطباعة والتصميم ـــ النجف الأشرف ـــ الطبعة الأولى ـــ2007م.
37. مقاييس اللغة/ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – اعتنى به الدكتور محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان – بيروت – دار إحياء التراث العربي - 2008م.
38. - مكة في دراسات المستشرقين – المستشرق البلجيكي الأب لامنس ، والمستشرق البريطاني البروفيسور كستر – المركز الاكاديمي للأبحاث – بيروت – الطبعة الاولى – 2014م .
39. من اسرار اللغة ـــ د. ابراهيم انيس ـــ مكتبة الانجلو المصرية ـــ مطبعة محمد عبد الكريم حسان ـــ القاهرة ـــ الطبعة الثامنة .
40. مولد اللغة ـــ الشيخ أحمد رضا العاملي ـــ بيروت .
41. نزهة الألباء في طبقات الأدباء – أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري – تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي – مكتبة الاندلس – بغداد – ط2 – تشرين الثاني – 1970م .
42. الوشائج بين السريانية والعربية/ هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي – منشورات المجمع العلمي – مطبعة المجمع العلمي –2000م.

هوامش

1- سورة الشعراء / الآيات 193 – 195
2- مقاييس اللغة :299/4.
3- تأريخ القرآن / نولدكه : 34
4- إعجاز القرآن / الباقلاني : 270
5- م . ن : 157
6- ظ : م . ن : 58
7- م . ن
8- سورة الحاقة / الآيات 40 - 42

9- الآيتان / 33 - 34
10- الإسلام – الأسس / تيرنر : 92
11- تأريخ القرآن / نولدكه : 32
12- محمد في مكة / مونتجمري واط : 320
13- مقاييس اللغة / ابن فارس : 436 - زكا
14- م . ن : 602 - طهر
15- محمد في مكة / مونتجمري واط : 324
16- المزهر / السيوطي : 301/1 - 302
17- الرسالة/ الشافعي : 128
18- ظ : المزهر / السيوطي : 1/ 301 -302
19- محمد في مكة / مونتجمري واط : 314 – 315
20- مقاييس اللغة / ابن فارس : 267 - حنف
21- ظ : محمد في مكة / مونتجمري واط : 314 (الهامش)
22- تأريخ اللغات السامية / إسرائيل ولفنسون : 137
23- التضاد في ضوء اللغات السامية / د . ربحي كمال : 58
24- سورة آل عمران / الآية 67
25- ظ : مقاييس اللغة / ابن فارس : 267 - حنف
26- الصاحبي في فقه اللغة / ابن فارس : 57
27- سورة مريم / الآية 97
28- سورة ابراهيم / الآية 4
29- سورة النحل / الآية 103
30- ظ : لسان العرب / ابن منظور : 113 - عرب
31- ظ : م . ن : 9 / 114 - عرب
32- م . ن
33- مقاييس اللغة / ابن فارس : 739 – عرب
34- سورة النحل : 103
35 سورة الشعراء / الآيات 193 - 195
36- سورة فصلت / الآية 44
37- سورة يوسف / الآية 2
38- سورة الرعد / الآية 37
39- سورة طه / الآية 113
40- سورة فصلت / الآية 3
41- الصاحبي في فقه اللغة / ابن فارس : 52 - 53
42- دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني : 388
43- ظ : في الأدب الجاهلي / د . طه حسين : 71
44- ظ : العواصم من القواصم / ابن العربي : 120
45- ظ : رسائل الجاحظ / الجاحظ : 4 / 114 - 115
46- فقه اللغات السامية / بروكلمان : 30
47- ظ : اللغات السامية / نولدكه : 25
48- تطور القرآن التأريخي / كانون سيل : 2 (الملحق)
49- سورة الاسراء / الآية 88
50- ظ : الرسالة / الإمام الشافعي : 50
51- الوشائج بين السريانية والعربية / موضوع (الجذور المماتة في المعجم السرياني) بنيامين حداد : 7 - 8
52- الوشائج بين السريانية والعربية / موضوع (الجذور المماتة في المعجم السرياني) بنيامين حداد : 12

53- الوشائج بين السريانية والعربية / موضوع (السريانية والعربية في كتابات اقليمس يوسف داود) يوآرش هيدو : 40
54- اللغات السامية / نولدكه : 24
555555- تأريخ اللغات السامية / إسرائيل ولفنسون : 159 ، ظ : اللغات السامية / نولدكه : 58
56- فقه اللغات العاربة المقاربة / د . خالد اسماعيل : 19
57- م . ن : 16 - 17
58- ظ : م . ن : 17
59- اللغات السامية / نولدكه : 14 ، ظ : م . ن : 42 ، 82
60 - نذكر لفظة (شعرية) بالرغم من تحفّظنا على هذا الوصف للغة العربية .
61- فقه اللغات السامية / بروكلمان : 29
62- ظ : حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين / د . أحمد سوسة : 65
63- م . ن : 79
64- ظ : م . ن :91
65- ظ : فقه اللغات السامية / بروكلمان : 14
66- الأصل المشترك للغات العراقية القديمة / موضوع (تعريب اللغة الأكدية) / د . عامر سليمان
67- فقه اللغات العاربة المقارنة / خالد اسماعيل : 24
68- ظ : م . ن : 39
69- ظ : م . ن : 48
70- الوشائج بين السريانية والعربية / موضوع (الجذور التأريخية للسريانية وصلتها بالعربية) / د . رشيد العبيدي " 53
71- ظ : فقه اللغات العاربة المقارن / خالد اسماعيل : 34 - 35
72- تأريخ اللغات السامية / اسرائيل ولفنسون : 163
73- اللغات السامية / نولدكه : 16
74- سورة الزخرف / من الآية 31
75- ظ : التضاد في اللغات السامية / ربحي كمال : 52.
76- ظ : تطور القرآن التأريخي / كانون سيل : 10 (الملحق – مينغانا)
77- ظ : م . ن : 11
78- التطور النحوي للغة العربية / براجستر اسر : 227
79- م . ن : 218
80- وهي قوله تعالى (وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)
81- تأريخ القرآن / نولدكه : 103
82- ظ : علم اللغة العربية / د . محمود فهمي حجازي : 213
83- اللغات السامية / نولدكه : 85
84- ظ : م . ن : 57 ، 61
85- المفسر ومستويات الاستعمال اللغوي / د . علي كاظم أسد : 38 ، 118
86- ظ : م . ن : 118
87- بيان إعجاز القرآن / الخطابي : 32 – 33 (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)
88- إعجاز القرآن / الباقلاني : 118
89- سورة السجدة / من الآية 3
90- سورة السجدة / من الآية 3
91- مجمع البيان / الطبرسي : 9 / 2 -4
92- العربية / يوهان فك : 3
93 ظ : نزهة الألباء / ابن الأنباري : 19 - 20
94- مدرسة الكوفة / د . مهدي المخزومي : 246
95- سورة الشعراء / الآيات من 193 - 195
96- سورة النحل / الآية 103

97- ظ : اللغات السامية / نولدكه : 80
98- ظ : دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي / د . عبد الرحمن بدوي : 256 – 260 (مقالة : الرواية والرواة عند العرب – أوجست اشبرنجر)
99- م . ن : 296 (مقالة : استعمال الكتابة لحفظ الشعر العربي القديم – ف . كرنكوف)
100- ظ : م . ن : 296 - 297
101ظ : الإتقان / السيوطي : 1/ 160
102- ظ : دراسات في فقه اللغة / د . صبحي صالح : 122 وانظر مصادره
103- ظ : العربية / يوهان فك : 4
104- ظ : اللغات السامية / نولدكه : 81 ، دراسات في فقه اللغة / د . صبحي صالح : 122
105- العربية / يوهان فك : 4 (الهامش رقم واحد)
106- م . ن : 46 -47
107 - ظ : مولد اللغة / أحمد رضا العامل : 79
108 - تأريخ اللغات السامية / اسرائيل ولفنسون : 15
109 - ظ: الخصائص / ابن جني : 111/1
110 - فلسفة المنصوبات / د. عائد الحريزي : 33
111- الكتاب / سيبويه : 2/ 315
112- الإيضاح في علل النحو / الزجاج : 70 – 72
113- ظ : من أسرار اللغة / ابراهيم أنيس : 214- 215
114- ظ : دلالة الألفاظ / د . ابراهيم أنيس : 206